

آراء ابن خلدون التربوية ودرجة اتفاقها مع التربية الحديثة

The educational views of Ibn Khaldun and their degree of agreement with modern education

حورية جميلة تيقرين*

جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة (الجزائر)، houria1961h@gmail.com

تاريخ النشر: 2022-06-03

تاريخ القبول: 2022-05-15

تاريخ الاستلام: 2022-03-25

ملخص: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على واحد من أعظم علماء التاريخ وواحد من رواد التربية، ومؤسسي علم الاجتماع، كما يهدف إلى تقديم شرحًا وافقًا عن آراء وتوجيهات هذا العالم بخصوص الفكر التربوي ومقارنته بالفكر التربوي الحديث، ومعرفة مدى التغيير والتحول الذي طرأ على مبادئ الفكر التربوي عبر الزمن منذ عصر ابن خلدون إلى عصرنا هذا، وكذلك معرفة ما لإبن خلدون من دور فعال في هذا المجال من خلال النظر في آرائه وافكاره وتأثيره علم التربية الحديث .

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون؛ الآراء التربوية؛ درجة الاتفاق؛ التربية الحديثة.

Abstract:

This research aims to shed light on one of the greatest scholars of history, one of the pioneers of education, and the founders of sociology. It also aims to provide an extensive explanation of the opinions and directions of this scholar regarding educational thought compared to modern educational thought and the degree of evolution in the principles of the educational thought across time, since the era of Ibn Khaldun to the present time. Moreover, the researcher tries to uncover Ibn Khaldun's effective role in this field of education by presenting his views, ideas regarding modern pedagogy.

Keywords: Ibn Khaldun; educational opinions; degree of agreement; modern education.

*المؤلف المراسل

1-مقدمة:

يعتبر العلماء المسلمين من أفضل الذين عالجوا وشرحوا موضوعات التربية، لأنهم في ذلك اهتموا وركزوا على الجانب الظاهر والباطن معاً في السلوك، لأنه ليس المهم في النظرة الإسلامية إزاء التكاليف والفرائض فقط، وإنما ضرورة توفر النية السليمة والحسنة، لهذا نرى إهتمام العلماء المسلمين بتربية الطفل تربية حسنة ترتكز على سلامة القلب، وحسن النية، بالإضافة إلى أعمال الجوارح.

وقد أسهم الرواد الأوائل بأفكارهم في صياغة مكونات المنهج الإسلامي في تربية الطفل وتنشئته التنشئة الإسلامية القويمة، فهذا الفيلسوف " ابن خلدون " يهتم في مقدمته المشهورة بعملية التطبع الإجتماعي للطفل، ويضع منهجاً في تربية الطفل يقوم على التدريب في تطبيع الطفل إجتماعياً، حيث يرفض عملية التلقين المتداخلة التي تهتم بالكم لا بالكيف المستخدمة حالياً في عملية التعليم، ويرى التدرج قليلاً، شيئاً فشيئاً حتى يستطيع الطفل استيعابها وهضمها، فتصبح فكراً وسلوكاً وعملاً، ومن ثم تكوين ملكة الطفل عن طريق تغذية عقله الذي لم يكتمل بعد، بخلاف شحن عقله في الوقت الذي تكون فيه ملكة الطفل ما زالت ضعيفة، ولا تستطيع أن تستوعب ذلك العلم دفعةً واحدة.

هكذا أسهم " ابن خلدون " في بلورة النظرية التربوية الإسلامية في تربية الطفل، حيث يرى بأن أسلوب القهر والتأديب عن طريق عملية التعلم والتطبع الإجتماعي لا يأتي بنتيجة بل العكس من ذلك تماماً، يخلق في النفس الصفات المذمومة، في حين يؤكد " ابن خلدون " على أسلوب الترغيب أكثر من التهيب، حيث يأخذ بالترهيب والترغيب في العملية التربوية، إلا أن هذا في حقيقة الأمر لا يُعد إختلافاً بين ابن خلدون وباقي فلاسفة التربية الإسلامية أمثال الإمام الغزالي وابن سينا إلا فيما يتعلق بالبيئة وظروف المجتمع الذي ربما يحتاج إلى استخدام عامل الترغيب أكثر في زمن معين، وعامل التهيب أكثر في زمن آخر.

2-سيرته:

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الخضرمي الإشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون (الحنبلي، 1039هـ، صفحة 76)، ولد بتونس سنة 732هـ -1332م وتوفي 808هـ. 1406م في القاهرة، وتلقى على أبيه وعلى بعض علماء تونس والواردين إليها القرآن العظيم حفظاً وتفسيراً ثم الحديث والفقهاء واللغة والنحو وكثيراً من الشعراء (فروخ، 1972، صفحة 691) وفي السادسة عشرة من عمره كان قد استوفى أكثر علومه الدينية واللغوية تم توسع في علوم المنطق والفلسفة، ورحل إلى غرناطة سنة 769هـ (الحنبلي، 1039هـ، صفحة 77)، وتثقل بين تلمسان ومراكش وتونس ومصر، متسلماً وظائف ومناصب عليا.

- كان فقيهاً فصيحاً جميل الصورة عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العليا، ولما رحل إلى الأندلس، اهتَز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه وأجلسه في مجلسه (الحاج، 1989م، صفحة 119) وكانت وفاته في القاهرة سنة 808هـ/1406م، ودفن في مقابر الصوفية وله ست وسبعون سنة. (الحنبلي، 1039هـ، صفحة 77)

- ويعد " ابن خلدون " عبقرية عربية متميزة، فقد كان عالمً موسوعياً متعدد المعارف والعلوم، وهو رائد مجدد في كثير من العلوم والفنون، فهو المؤسس الأول لعلم الاجتماع، وإمام ومجدد في علم التاريخ وأحد رواد فن "

الأنتوبوجرافيا"، فن الترجمة الذاتية. كما أنه أحد العلماء الراسخين في علم الحديث، وأحد فقهاء المالكية المعدودين، ومجدد في مجال الدراسات التربوية وعلم النفس التربوي والتعليمي، كما كان له إسهامات متميزة في التجديد في أسلوب الكتابة العربية. (الزهيري، 2007، صفحة 57)

3-نشأته:

نشأ " ابن خلدون" في بيت علم ومجد عريق، فحفظ القرآن في وقت مبكر من طفولته، وخلال نشأته، حصل على تعليم يليق بأبناء عائلته، خاصة وأنه كان ينحدر من عائلة يشتغل معظم رجالها في حقل السياسة، وقد كان أبوه هو معلمه الأول، كما درس على مشاهير علماء عصره، من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى تونس بعدما ألم بها من الحوادث، فدرس القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي، والأصول والتوحيد، كما درس كذلك علوم اللغة من نحو وصرفٍ وبلاغة وأدب، ودرس كذلك علوم المنطق والفلسفة والطبيعات والرياضيات، وكان في جميع تلك العلوم ماثراً وبلاغة إعجاب أساتذته وشيوخه (الزهيري، 2007، الصفحات 12-13)

4-أساتذته وشيوخه:

ومن أبرز هؤلاء الأساتذة والمشايخ: محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن سعد بن برال الأنصاري، ومحمد بن الشواشي الزرزالي، ومحمد بن العربي الحسايري، وأحمد بن القصار، ومحمد بن جابر القيسي، ومحمد بن سليمان الشظي، ومحمد بن إبراهيم الأبلي، وعبد الله بن يوسف المالقي، وأحمد الزواوي، ومحمد بن عبد السلام وغيره.

وكان أكثر هؤلاء المشايخ تأثيراً في فكره وثقافته: هو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، إمام المحدثين والنحاة في المغرب، ومحمد بن إبراهيم الأبلي الذي أخذ عنه علوم الفلسفة والمنطق والطبيعة والرياضيات (الجوهري، يوسف، 2008، صفحة 12)

5-مكانته في العلم:

أنبتت المعاهد العلمية الإسلامية من فحول العلماء رجالاً لا تحيط بهم أقلام الحاسبين، ولكن الرجال الذين يتسمون في العلم الذروة القصوى، وتتفجر قرائحهم بمدارك فائقة فيخرجوها للناس في أسلوبها الحكيم ليسوا بكثير، ومن هذه الطائفة العزيزة المثال أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون.

كان بعيد الشأور في العلوم الشرعية والعربية، خبيراً بالعلوم النظرية، ضليعاً في الفنون الأدبية، ويشهد له بالرسوخ في العلم الكتب التي درسها مثل " تهذيب البرادعي" في الفقه، ومختصري " ابن الحاجب" الأصلي والفرعي، وكتاب " الموطأ" و" صحيح مسلم" وغيرهما من أمهات الكتب في علم الحديث، وكتاب " التسهيل" لابن مالك في النحو (حسين، 2012، صفحة 24)

وأخذ العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي، وخير شاهد على تقدمه في هذه العلوم النقلية والعقلية مقدمة تاريخه التي أمتع فيها البحث عن حقائق هذه العلوم وفلسفتها على طرز لا يبتكره إلا من مارسها على بيّنة من أمرها وتعمق فيها.

وأضاف إلى ثقافة الفكر، والفهم قوة الحفظ، فكان يحفظ القرآن الكريم، والمعلقات، وديوان الحماسة، وقطعة من شعر المتنبي، وسقط الزند، وطائفة من أشعار كتاب الأغاني، وغير ذلك من المنظومات العلمية (حسين، 2012، صفحة 25)

6- كتبه ومؤلفاته الأدبية:

قدم ابن خلدون العديد من المؤلفات والكتب في الكثير من المجالات والعلوم سواء في علم الاجتماع، أو التاريخ، أو الفلسفة، أو الفقه أو الحساب، أو المنطق، أو علم الكلام، ومن أهم مؤلفاته ما يأتي:

1- كتاب الغبر وديوان المبتدأ والخبر: هو كتاب كامل إسمه " العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ويحتوي الكتاب في جزئه الأول على مقدمة ابن خلدون المشهورة.

2- المقدمة: تعدّ المقدمة من أهم مؤلفات ابن خلدون، وترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، فنالت شهرة كبيرة عُرف على إثرها " ابن خلدون" عند الغرب قبل الشرق.

3- شفاء السائل لتهديب المسائل: شرح ابن خلدون في هذا الكتاب منهج الصوفية وأهم نظرياتهم، وذكر الرجال المشهورين منهم، وأهم مؤلفاتهم حيث ألف هذا الكتاب بناءً على طلب شريحة كبيرة من الناس.

4- لباب المحصل في أصول الدين: كتب ابن خلدون كتابه هذا في سن لم يتجاوز العشرين عاماً، ويُعد أول كتاب يؤلفه في حياته، حيث شرح فيه أحد كُتب علم الكلام بالإضافة إلى ما جاء في كتب المؤرخين من عناوين لمؤلفات أخرى مثل: شروحه لبعض مؤلفات " ابن رشد" وشرحه لنهج البردة، وشرحه على الرجز في الفقه، وكتاب في الحساب، والمنطق، وغيرها. (أبو زيد، 1997م، صفحة 9)

7- آراؤه التربوية:

وردت آراء ابن خلدون التربوية في مقدمته المسماه "مقدمة ابن خلدون" ولم تكن تلك الآراء مترابطة بشكل منهج، بل كانت مبادئ وملاحظات عامة مبعثرة، ويرى ابن خلدون أن التعليم ضروري وطبيعي في البشر، لحاجة الإنسان إلى معرفة العلوم المختلفة التي تيسر بالفهم والوعي فقط، بل بملكة خاصة، والحصول على هذه الملكة في العلم أو الفن يكون بالتعليم، ومن الآراء والتوجيهات التربوية التي تطرق إليها ابن خلدون مايلي: (العمامرة، 1995م، الصفحات 175-190)

8-التعليم في الصغر أشد رسوخاً:

يردد "ابن خلدون" ما قاله "الغزالي وغيره من المرّبين المسلمين أن التعليم في الصغر أشدّ رسوخاً وأنه أصلٌ لما بعده. (مرسي، 2000م، الصفحات 404-405)

9-مراعاة التدرج في الانتقال من البسيط إلى المركب

إن المتصفح لفصول مقدمة ابن خلدون يلاحظ أنه أكد على فكرة التدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد، والانتقال من الجزئي إلى الكلي وليس العكس (ابن خلدون، 1962، صفحة 412) وهذا الإتجاه في فكر " ابن خلدون" له معزى تربوي هام يتفق مع ما تنادي به التربية المعاصرة في طرق التدريس فيما يعرف بالطريقة الإستقرائية التي تركز على ثلاث فرضيات هي:

أ-أن القدرة على التفكير هي مهارة يمكن أن تُعلّم

ب-أن التفكير هو عملية تفاعل متواصل بين عقل التلميذ والمادة الدراسية

ج-ان نمو التفكير إنّما يتم بواسطة تسلسل تدريجي من البسيط إلى المركب

كما تستند في تطبيقها على عدة شروط منها:

- 1- تدرج المعلم للمعلومات والخبرات الدراسية من الخاص إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي.
- 2- توفير المعلومات الكافية التي يستطيع التلاميذ من خلالها استقراء المبادئ والعموميات
- 3- استعمال المعلم لأسئلة واضحة ومتسلسلة منطقياً، ومن مميزات هذه الطريقة مايلي:
 - ❖ زيادة القدرة الفكرية عند التلاميذ.
 - ❖ تكوين فكر خلاق.

❖ تنمية قدرات متعددة، كالقدرة على التركيب اللغوي وإدراك طبيعة المعلومات وكيفية الوصول إليها.

ويتعرض ابن خلدون الى الآثار التي تنجم عن تكليف المتعلمين فوق طاقاتهم وان ذلك وخاصة في المرحلة التي لم يستعد المتعلم فيها استعداداً عقلياً مناسباً يؤدي بهم الى الانصراف عن التعليم والتكاسل ويلقى اللوم على سوء التعليم. و في لغة حديثة نقول ان ابن خلدون منذ ستة قرون تكلم عن الاستعداد للتعليم والشوق والتشويق والحوافز والتدريب والاهتمام والجهد (أحمد، 1986م، صفحة 326)

ويتكلم ابن خلدون في تفصيل أكثر شارحاً التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين، ويقول انها تحصل في ثلاث تكرارات وهذا ما يراه ابن خلدون.

في ثلاث تكرارات. وهذا ما يراه ابن خلدون

1-... " يلقي عليه (المتعلم) أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله (ابن خلدون، 1962، صفحة 533)

2-... " ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته (ابن خلدون، 1962، صفحة 533)

3-... " ثم يرجع به وقد شدّ، فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلاّ أوضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. وهذا هو وجه التعليم المفيد. وهو كما رأينا إنما يحصل في ثلاثة تكرارات. وقد يحصل للبعض الآخر في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه" (ابن خلدون، 1962، صفحة 533)

10- عد إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد

إن تعليم المتعلمين علمين في وقت واحد يشغل المتعلمين ويعرضهم للفشل والإحباط وذلك لأن عقل الإنسان محدود وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في وقت واحد، وفي ذلك يقول "ابن خلدون" "أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً" فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما لما فيه من تقسيم إلى تفهم الآخر، فيستغلقتان معاً ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة، وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصر على، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله" (ابن خلدون، 1962، صفحة 1225)

-كما أنه نادى بضرورة تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم الانتقال إلى تعليم القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه، وهو في ذلك ينتقد المزيين في عصره، لإصرارهم على تحفيظ القرآن الكريم للمتعلمين في بداية طفولتهم المتأخرة قبل تعلم القراءة والكتابة، ويقول: "أنّ القرآن هو كتاب الله المحفوظ وليس لنا أن نقلده، وليس له تأثير في اللغة قبل أن

يفهم الناشئة معانيه ويتذوقون أساليبه ويدركون مقاصده ومراميه، وسبيل ذلك البدء بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة وليس العكس مراعاة للترتيب المنطقي والسيكولوجي لقدرات المتعلمين واستعداداتهم وإمكانياتهم" (بركات، 1982، صفحة 157)

كما ركز " ابن خلدون" على حصر الملكة في فن واحد من العلوم لأنها من وجهة نظره تؤدي إلى مرات العقل، ومن ثمّ تقبله العلوم الأخرى بسهولة أكثر من ذي قبل، ويقول علماء التربية في ذلك: " أن تدريب العقل بمادة من المواد في ناحية من النواحي يجعله قادرًا على التفكير في المواد الأخرى وبمكّنه من الإجابة في كل مادة، وذلك بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى. (يوسف، 1955، صفحة 352)

11- إن كثرة الإختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم

يرى "ابن خلدون" أن من العوامل التي تقف في طريق التعليم هي اختصار كتب العلم فقال: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مُخلًا بالبلاغة وعُسراً في الفهم"، (ابن خلدون، 1962، صفحة 1232)

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد لجأ بعضهم إلى اختصار الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تسهيلاً للحفظ، وضرب " ابن خلدون" أمثلة على ذلك، "بابن الحاجب" في الفقه وأصول الفقه وأصول الفقه، "وابن مالك" في العربية و" الخونجي" في المنطق وغيرهم الكثيرون. وقد انتقد " ابن خلدون" ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار لما تحتويه من مفاهيم ومعانٍ لا يستطيع المتعلم فهمها دون هذه الإطالة والتكرار، ولأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين لعدم وجود لديهم الإستعداد والقدرة لفهم مثل هذه المختصرات وفي ذلك يقول: "ابن خلدون": "أن الإختصار يفسد التعليم ويُحل بالتحصيل ويُخلط على المبتدئ في التعليم بإلقاء الغايات من العلم وهو يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم، (ابن خلدون، 1962، صفحة 1232)

-وهذا يوافق الأبحاث التربوية المعاصرة في أن المتعلم يجب أن يستعد للتعلم وأن لا يُرغم على تلقي العلوم دون الإستعداد الكافي والتأهب لها، لأن عدم الإستعداد والإرغام يُضيّع الجهود المبذولة في التعليم. (شهلا وآخرون، 1961م)

12- أن كثرة التآلف في العلوم عائقة على التحصيل

يعترف ابن خلدون بقصور العقل الإنساني وتفاوت مراتبه بين البشر قوة وضعفاً، وإيماناً منه بقصور العقل البشري وخصوصاً في المراحل النمائية للأفراد، فقد رأى أن العقل البشري لا يستطيع إستيعاب العلوم التي تكثر فيها المصطلحات والمؤلفات، وقد دفعه ذلك إلى أن يكتب في مقدمته فصلاً بعنوان: " إن كثرة التآلف في العلوم عائقة عن التحصيل" وقد ذكر في هذا الفصل: "أعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الإصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم، والتلميذ باستحضار ذلك". (ابن خلدون، 1962، صفحة 1230) ويقصد "ابن خلدون" هنا كثرة المؤلفات والمصطلحات في العلم الواحد، بحيث يؤدي ذلك إلى نفور المتعلم من التعليم، وابن خلدون يهدف إلى التيسير على المتعلم وبشكل خاص في بداية عهده بالتعليم.

ومن الاسباب التي دفعت " ابن خلدون" إلى كتابة هذا الفصل في مقدمته، كثرة طرق التدريس وتنوعها، حيث سادت في عصره الطريقة القيراونية والمصرية والبغدادية والقرطبية وغيرها من الطرق، وكان المطلوب من المتعلم أن يقوم بالتمييز بين هذه الطرق، لدرجة أصبحت تبدو للمتعلّم وكأنها جزء من العلم وهذا خطأ كبير فالطرق وسيلة وليست غاية. وفي ذلك يقول " ابن خلدون" " ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيراونية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله، وحينئذ يسلم له منصب الفتيا، وهي جميعها متكررة والمعنى واحد، والمتعلّم مطالب باستحضارها جميعها وتمييز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها"، (ابن خلدون، 1962، صفحة 1234)

ومما تقدم يظهر لنا أن " ابن خلدون" نادى بمراعاة قدرات التلاميذ وأن لا نثقل عليهم بما هو فوق طاقاتهم، وأن يتم تعليمهم ببسر وسهولة حتى يقبلوا على العلم برغبة ونشاط وأن لا يكون التعليم منفراً لهم. وهذا الذي تنادي به التربية الحديثة، حيث ظهرت نظريات متعددة تنادي بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وظهر التعلّم الفردي لمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وظهر مبدأ التدرج في التعليم، والانتقال من السهل إلى الصعب فالأصعب، وبما يتناسب والمرحلة النمائية للمتعلمين.

13-: التعلّم المركز والموزع

بالرغم من إقرار " ابن خلدون" بوجود الإستعداد لدى المتعلّم إلا أنه يؤمن بأن المتعلّم لا يستطيع قبول العلم دفعة واحدة، بل يتدرج في قبول شيئاً فشيئاً، وربما كان بعض الناس أسرع من البعض الآخر، وفي هذا يقول: " لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تنوحي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه" (ابن خلدون، 1962، صفحة 1234)، وقد انتقد ابن خلدون تطويل الجلسات وإعطاء الدروس مفرقة، حيث ينصح بأن لا تطول الفترات بين الدروس، إذ أنّ التقطيع مدعاة لأن ينسى المتعلّم ما درسه لطول الفترة بين الدرس والآخر. وقال إن مواصلة الدروس يربط بينها وبين بعضها ويساعد على أن تتم عملية التعلّم في وقت أقصر، وبطريقة أصح وتأتي بنتيجة أفضل (سليمان، د.ت، صفحة 55). ويقول في هذا الصدد... " ينبغي ألا تطول على المتعلّم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها". (ابن خلدون، 1962، صفحة 1234)

وابن خلدون هنا لا يقول بالتعلّم المركز أو بالتعلّم الموزع على فترات طويلة، فهو يعارض التعلّم الموزع على فترات طويلة على اعتبار أنه يؤدي إلى النسيان ولا يصلح لتدريس المواضيع والعلوم المطولة، كما أنه لا ينادي بالتعلّم المركز لأنه يؤدي إلى الملل والتعب، وكأنه ينادي بالتعلّم الموزع على فترات قصيرة لأنه يسهل ويبسر على المتعلّم، وقد نادى التربية الحديثة بذلك، ومن نتائج الدراسات حول التعلّم الموزع والمركز، أشارت الدراسات: " إلى أنه إذا جرى توزيع التعلّم على عدة جلسات قصيرة فإنه يعطي نتائج أفضل من إستفاده دفعةً واحدة (عدس، توق، 1992م، صفحة 135) والتربية الحديثة تقرر أن فترات الراحة تعمل على تثبيت ما حصله المتعلم، وذلك أن الإستجابات الخاطئة تنسى في العادة أسرع من الإستجابات الصحيحة. (العمامرة م.، 2000م، صفحة 367)

14- الرحلة في طلب العلم

يقول ابن خلدون في مقدمته: (لا د لطالب العلم من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة، فرحلة البحث في العلوم ومقابلة العلماء تزيد من فرص إتقان التعلّم، لذلك نرى علماء المسلمين حريصين للغاية على القيام برحلات

علمية، وقد كانت بداية الرحلات من الأندلس نحو الشرق بحثاً عن كل ما له علاقة بالفقه والحديث، ثم تطورات محتويات هذه الرحلات لتشمل البحث عن الحقول المعرفية والعلمية الأخرى كالتطب والفلسفة والحساب والفلك... الخ. (ابن خلدون، 1962، صفحة 66)

* ويبحث ابن خلدون على الرحلة إلى الأقاليم النائية في طلب العلم واستفادة، لأنها تفتح أمام الناشئين كثيراً من أبواب العلم، وتوقفهم على مشاهد لها في توضيح المعلومات وفهمها، وتزيد في تجارتهم، واكسبهم علوماً وأفكاراً لا تتاح لهم لو عاشوا طول حياتهم في بلدهم.

* والتربية الحديثة توافق ابن خلدون على استخدام الرحلات كوسيلة عظيمة الأهمية في تحصيل المعلومات بطريقة عملية، وإن كان ابن خلدون يقصد من الرحلة شيئاً آخر، وهو لقاء كبار العلماء والفقهاء حيث يقول: "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة - أصحاب الإختصاص، وكبار رجال العلم والتعليم - مزيد كمال في العلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات من المباشرة والتلقين أشد استحكاماً، وأقوى رسوخاً، ولا سيما عند تعدد الأسانذة وتنوعهم. (الأبراشي، د.ت)

14- عدم الشدة على المتعلمين

انتقد ابن خلدون " أسلوب العقاب البدني الذي كان سائداً في عصره، وطالب بضرورة استخدام الرحمة واللين والشفقة مع التلاميذ، إذ يرى أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم، حيث يقول: " فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدّ في التأديب" واعتبر أن مجاوزة الحدّ أن مجاوزة الحدّ في العقاب لها أضرار على التلميذ وتعمل على إفساد أخلاقه، وبذلك لا يتحقق الهدف من التعليم حيث كان الهدف من التعليم هو تحصيل الفضيلة، وفي ذلك يقول " وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضرّ بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك والخدم سطا به القهر وضيق على النفس من انبساطها وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي عليه، وعلمه المكر والخديعة، وصارت له عادة وخلقاً. (ابن خلدون، 1962، صفحة 1243)

- ويظهر من هذا النص رأي ابن خلدون الواضح في العقاب، حيث يرفض الشدة على المتعلمين رفضاً قاطعاً على اعتبار أنها مضرّة بالمتعلم وتعمل على فساد خلقه وتؤثر على شخصيته ولا تحقق الهدف العام من التعليم، ولا تعمل على تزويد التلاميذ بسلوكيات مرغوب فيها، بل على العكس تماماً، فقد تكون عاملاً على بعث القلق والتوتر والخوف في نفوس التلاميذ، وقد تؤدي إلى أنواع من الكبت أو الإحباط أو الفشل أو غيرها من السلوكات السلبية، وقد تستمر معه حتى الكبر، وحينها يصبح التخلص منها من الأمور شبه المستحيلة، وقد أشارت دراسات علماء النفس المحدثين إلى: "إنه في حالة عدم تمكن الطفل من التخلص من التوتر النفسي والمشاعر السلبية المتراكمة، فإن ذلك كثيراً ما يؤدي إلى العدوان والانحراف السلوكي، وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والهروب من المدرسة وغير ذلك من مظاهر الجنوح وجرائم الأحداث (مرعي، بليقيس، 1987، صفحة 155)

- ومع إن ابن خلدون عارض الشدة على المتعلمين لمجموعة الآثار السلبية التي ذكرت، إلا أنه لم يترك الحبل على الغارب للأطفال، حيث أنه لا يقول بالتسامح الكلي مع الأطفال فقد أباح العقاب للضرورة على أن لا

يزيد على ثلاثة أسواط، ولم يكن يطالب باستخدام العقاب البدني مباشرة بل كان العقاب آخر العلاج، وقبل استخدام العقاب البدني كان يستخدم وسائل متعددة منها، الترهيب والترغيب، والتوبيخ والعزل، والإهمال، ثم العقاب، وكأنه يريد القول بأن طرق الترغيب والترهيب مهما بلغت من الجودة والإتقان لا تضمن وقاية جميع التلاميذ من الإتجاهات والسلوكيات الخاطئة في مختلف الظروف والأحوال فلا بد إذن في الحالات الضرورية من الإستعانة بالطرق العلاجية كالعقاب البدني المحدد بثلاث أسواط.

15- طرائق التعليم

لم يقيد ابن خلدون المعلم بطريقة واحدة في التدريس، وأجاز له استخدام الطريقة أو الطرائق التي تتناسب وقدرات وميول وإمكانات التلاميذ، من منطلق أن التعليم عنده صناعة والصناع يختلفون في طرائق صناعتهم، ولكل صناعة طرائق مختلفة، ويحق للمعلم أن يعتمد جلّ الطرائق أو بعضها ليستطيع تحقيق الأهداف المرجوة، وهي حصول المتعلم على ملكة العلم أو الموضوع الذي يدرسه، وقد يتفق ابن خلدون في رأيه هذا مع ما يطرحه رجال التربية المحدثين من أنّ أحسن الطرائق وأمثلها هو تنوعها وتعددتها، على إعتبار أن الموقف التعليمي الواحد يتطلب في تنفيذه طرائق وأساليب متعددة وبما يتلاءم والمادة الدراسية ومستوى التلاميذ.

ومع أن " ابن خلدون قد أجاز للمعلم استخدام الطرائق التي تناسبه، إلا أنه فضل استخدام طريقة المناقشة (المحاورة والمناظرة)، وهو يرى أن فنق اللسان بالمحاورة والمناظرة يقرب شأن هذه الملكة ويحصل ما يرمي إليه الإنسان منها بالمحاورة وهي الأخذ والعطاء أو المناظرة وهي عرض أمور من طرائق مختلفة من طريق التخاطب فيما يخالفها أو يوافقها في كلامه" (بركات، 1982، صفحة 105)

فالتعليم عند ابن خلدون يهدف إلى غاية واحدة هي حصول المتعلم على ملكة العلم حيث يصبح فيه على درجة عالية من الفهم والإرتقاء، وليس مجرد استظهار العلم وحفظه دون فهم وتعمق، لهذا انتقد ابن خلدون الطريقة التعليمية القبراونية التي كانت سائدة في عصره والتي كانت تركز بشكل كبير على الحفظ والتلقين، وقد وصف الطلاب المغاربة في مجالس العلم، بأنهم كانوا يلتزمون الصمت والسكوت التام والإصغاء دون مشاركة ولا تفاعل، حيث يقول: " فتجد طالب العلم، منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في مجالس علمية سكوتاً لا ينطقون ولا يُفادون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. (ابن خلدون، 1962، صفحة 987)

إن ما ذكر من فكر تربوي يتفق مع تنادي به التربية الحديثة، من حيث الإهتمام بالفهم والتعمق حتى يستطيع المتعلم من توظيف التعلم السابق في التعلم اللاحق، وهذا ما هدف إليه ابن خلدون " عندما ذكر في مقدمته: " فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم"

- وكذلك نجد " ابن خلدون" يشجع مشاركة التلاميذ في الموقف التعليمي، واعتبر أن مشاركتهم عن طريق المناقشة يؤدي إلى فك العقدة التي قد يُصاب بها بعض التلاميذ، ثم تدريبهم على الكلام والإتيان، بالحجج والبراهين على فكرة اعتنقوها.

هذا وقد نظر علماء التربية الحديثة إلى طريقة المناقشة (المحاورّة والمناظرة) على أنها إحدى الطرق الهامة في التعليم، على اعتبار أنها تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين وتفسح المجال للمعلم للكشف عن هذه الفروق، وأنها تساعد على تنمية علاقات إجتماعية جيّدة بين التلاميذ ومعلمهم، وبين التلاميذ أنفسهم، تلك العلاقات المبنية على

أساس التفاهم والتعاون والإحترام المتبادل" وكذلك تنمي الجرأة الأدبية والقدرة على الكلام المعبر وذلك باختيار الأساليب البيانية لإبداء الآراء وذكر المعلومات الدقيقة، (بانبيلا، 1984، صفحة 630)، وتهيي فرصة قيمة للتعبير عما للفرد من وجهات نظر ومشاعر وأحاسيس تجاه قضية معينة أو قضايا عديدة (الرحيم، 1965م، صفحة 78)

16-الخاتمة:

يعتبر الفكر التربوي الخلدوني من أهم الإسهامات العلمية في تاريخ الفكر التربوي إلى يومنا هذا، ويعد ابن خلدون سابقا علماء عصره في صبغ التربية بالصيغة الإجتماعية وهو ما يتداوله علماء التربية الحديثة. ومن خلال ماسبق توضيحه توصل البحث إلى مايلي:

- 1- وجود منهج تربوي شامل لدى ابن خلدون مع وجود أفكار تربوية عديدة.
- 2- اتفاق الكثير من الأفكار التربوية لدى " ابن خلدون" مع ما تنادي به التربية الحديثة.
- 3- هدف التربية عند ابن خلدون هو إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط.
- 4- هدف التربية عند ابن خلدون هو إعداد أفراد وأناس يستطيعون العيش الكريم في مجتمع راقٍ متحضر وهذا الهدف ذهب إليه بعض علماء التربية الحديثة وبخاصة " هربرت سبنسر " Herbert spencer في ضوء نتائج البحث نوصي بالآتي:

- 1-إعداد المزيد من الدراسات حول فلسفة التربية الخلدونية.
- 2-دراسة نظام التعليم في القرن الثامن الهجري مع ذكر الجوانب الإيجابية للإستفادة منها.
- 3-إحياء التراث التربوي الإسلامي وبيان كيفية وبيان كيفية الإستفادة منه في الوقت الحالي.

المراجع والاحالات

- الأبراشي، محمد عطية. (د.ت). التربية الإسلامية وفلاسفتها. دار الفكر العربي
ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. (1962). المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد. القاهرة.
أحمد، سعد مرسي. (1986م). تطور الفكر التربوي. القاهرة: عالم الكتب.
بانبيلا، حسين عبد الله. (1984م). ابن خلدون. دار الكتاب العربي.
بركات، لطفي. (1982م). في الفكر التربوي الإسلامي. الرياض: دار المريخ.
بلقيس، أحمد ومرعي، توفيق. (1978م). الميسر في سيكولوجية اللعب. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
الجوهري، محمد ويوسف، محسن. (2008م). ابن خلدون إنجاز فكري متجدد. مصر: مكتبة الإسكندرية.
الحاج، خالد محمد علي. (1989م). أعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين. عمان.
الحنبلي، عبد الحي ابن العماد العكري. (د.ت). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة التراث. بيروت: دار الأفاق الجديدة.

- الزهيري، صالح بن علي. (2007). عبقرية عربية متميزة. مجلة الجزيرة الثقافية. (210)
سليمان، فتيحة. (د.ت). التربية في المجتمعين اليوناني والروماني. القاهرة: دار الهنا للطباعة والنشر.
شهلا، جورج وآخرون. (1961م). الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، التربوي ومستقبل العربية.
عبد الرحيم، أحمد حسن. (1965م). الطرق العامة في التربية، النجف. العراق.

- عدس، عبد الرحم وتوق، محي الدين. (1992م). المدخل إلى علم النفس. عمان: دار الفكر.
- العمامرة، محمد حسن. (2000م). الفكر التربوي الإسلامي. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطبعة.
- العمامرة، محمد. (1995م). فكر ابن خلدون التربوي بين الأصالة والمعاصرة. المجلة الإسلامية، لندن.
- فروخ، عمر . (1972م). تاريخ الفكر العربي. بيروت: دار العلم للملايين.
- مرسي، محمد منير. (2000م). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. القاهرة: عالم الكتب.
- يوسف، أحمد. (1955م). أسس التربية وعلم النفس. لجنة البيان.